الكتب

كتاب باب القمر

تأليف الأستاذ ابراهيم رمزى

بقلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد

ماذا أسميه ؟ أأسميه قصة ؟ إننى إن فعلت فان أعدو الحقيقة إذ هو فى الواقع قصة فيها ما فى القصص عادة من مداخل الخيال وطلاوته . ففيها لمياء ابنة الحارث بن كلدة ، تلك الصورة الحية الناطقة التى لا يسع قارىء القصة إلا أن يتمثلها ويحس ما تحسه من أشجان . فتاة عربية رومية تجمع ثقافة الاغريق وصفاء نفس العرب ، وتتمثل فيها فضائل المدنية وفضائل البداوة جنباً الى جنب . وفيها ورقة ابن العفيفة ، ذلك الفتى العربى النبيل الذى يتقلب فى بلاد العرب وفيا حولها حتى ينتهى به التجوال الى الاسكندرية فيصبح فيها أمين الحاكم وكبير حراسه . وهذان هما الشخصان اللذان قد حيكت حولها حوادث القصة على ما ألف الناس فى القصص من دوافع المواطف الشريفة وخوالج النفوس المضطرمة ؛ على أننى لا أملك إلا أن أعقب على هذا القول لأحدد منه . فان هذا الكتاب ليس على ما يفهم من القصة المحض ، فان المؤلف قد جعل الى سداه القصصى لحمة من التاريخ المصفى الذى لا يخطىء القارىء إذا اعتمد عليه ووثق من حقائقه ، فهو يصور حال بلاد العرب فى أول أيام البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فابتدأ فى نجران وصور ما كانت عليه حال تلك المدينة القديمة ومكان الأسقف المسيحى منها ؛ ثم هبط اليمن مع قوافل التجار التى تيمم الشمال فى رحلاتها المنتظمة حتى بلغ معها بلاد الحجاز فصور مكان النبى عليه الصلاة والسلام فى أوائل سنى البعثة وصور صحابته تصويراً لا أظن ريشة المصور تبدع خيراً منه ، كما صور أعداءه وشتى وسائل عداوتهم له الى حصارهم إياه فى الشعب على ما هو معروف فى كتب السيرة ؛ وعبر بعد ذلك الى الشام فعرض صورة لدولة الروم وهى تناضل الفرس نهجاً يشابه طريقة الفيلسوف الألمانى ، وهو إن خالفه فى الروح والمبادىء فانه يشابهه فى الأسلوب وطريقة الأداء التى يتميز بها كتاب « زارا تسترا » ، وقد تبوأ هذا الكتاب مكانه فى التفكير الغربى كانجيل جديد يبشر بمذهب جديد فى الحياة وغايتها على الأرض ، مذهب هو أقرب الى الدعوات الدينية منه الى المذاهب الفكرية الفلسفية

وقد دعانى الى كتابة هذه الكلمة ما رأيته من خلاف فى نسبة « زارا » . على أن كل المصادر مجمعة على نسبته الى Zoroaster ، ولكن الخلاف هو فى تفسير Zoroastre هذا ؛ فالستر « Rhys » فى مقدمة الترجمة الانجليزية طبعة (Everymein's Library) يشير الى أنه زرادشت صاحب الديانة الفارسية القديمة ، وهكذا أيضاً تفسره دائرة المعارف الفرنسية « La Grande » ، وأما دائرة المعارف البريطانية فلم أجد بها ما يفسره

على أنه توجد طبعة لترجمة إنجليزية أخرى بدار الكتب المصرية بالقاهرة تفسر هذا الاسم بأنه لأحد آلهة الاغريق القدماء يدعى Zoroaster ؛ ولست أدرى المصدر الذى استقى منه محرر مقدمة هذه الطبعة . على أن هذا الرأى كفيل بأن يسترعى منا كل عناية واعتبار ، لأنه من المعلوم أن نيتشه كان متضلعاً فى الثقافة الاغريقية ؛ ثم إنه مدين للاغريق بكثير من إنتاجه وفلسفته ؛ وتأثره بآلهة الاغريق عميق ولاسيما الآله ديونيزوس Dionysus إله الخمر ، وقد أسهب فى هذه النقطة البروفسور ليشتنبرجر Leachetenberger فى كتابه عن نيتشه المسمى « إنجيل السوبرمان » The Gospel of Superman

فلا نستبعد أن يكون نيتشه قد نسب بطل كتابه إلى هذا الآله الاغريقى القديم اعترافاً منه بفضل الثقافة الاغريقية وتمجيداً لها . وهذا موضوع من الفائدة بمكان لو تبارت فيه عقول المحققين لتجلو غامضه وتظاهر حقيقته ؛ وإنه لخليق بمجلة البحث والفكر « الرسالة » الغراء .

(المنصورة) محمد فهمى

ذلك النضال الهائل الذي غلبت فيه في أدنى الأرض ، وعرض بعدها صورة ثانية لمصر والاسكندرية وبين ما كان فيها من اضطراب وأحزاب الى أن دخلتها جيوش فارس بتدبير بعض الخونة مثل بطرس البحريني المنافق

فصور القصة قد تدخلت فيها صور التاريخ تدخلا عجيبا كان من أثره أن جليت للعصر صفحة واضحة يكاد قارئها يحس أنه يحيا بين أهله ويتنفس في جوهم

ولست بمستطيع في هذه الكلمة الموجزة أن أذكر كل من جلاهم ذلك الكتاب القيم من شخصيات التاريخ ، فانك لا تكاد تجد اسما من الأسماء المعروفة في هذه الفترة لم يبرزه في ناحية منه ويصور له صورة حية ؛ ولكن شخصيتين من هذه الشخصيات كانتا مثالاً عالياً في التصوير الأدبي ؛ ولعل المؤلف النابه قد قصد منهما أن يكونا رمزين للحزبين المتناضلين : حزب الرسول وحزب قريش ، ألا وهما حمزة بن عبد المطلب رمز المسلمين ، والنضر بن الحارث الطبيب رمز المكذبين من قريش . وأما أشخاص غير العرب فقد أبدع في تصوير بعضهم إبداعا عظيما ، ومن هؤلاء بطرس البحريني الذي قيل إنه كان آلة الفرس في فتح الاسكندرية بالخديعة والخيانة

وإذا كان المؤلف الفاضل قد جمع بين القصة والتاريخ هذا الجمع فانه لم يقع في خطأ وقع فيه كثير من القصصيين ، وذلك هو الخلط بين الخيال والحقيقة وما يترتب على ذلك من تشويه لكليهما ، فانه حرص على أن تكون وقائع التاريخ كلها صحيحة ، وبالغ في ذلك فجعل في هامش القصة ذكر بعض المراجع وبعض فقرات الايضاح ، واحتاط عند ذكر ما يتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام ، فما وقع منه فلا نسبه إليه كما جاء في كتب السيرة ، وأما ما كان فيه مدخل للخيال فقد قال فيه : « وإخاله قد فعل » . فهذا الكتاب حلقة جيدة من سلسلة جيدة ظهرت في الأيام الأخيرة لبعض أعلام الأدب الحديث

وإنا إذا رأينا هذه النهضة المحمودة في إيراد حوادث التاريخ على هذا الأسلوب كان علينا أن نبتهج ونغتبط وأن نشكر هؤلاء الأدباء الأعلام الذين يمدون لجمهور القراء مثل هذا الغذاء العقلي السليم . ولا أظن أن في استطاعة أحد أن يكافئ هؤلاء الأفاضل على ذلك المجهود الكبير ، اللهم إلا أن يكون رضاؤهم عن أنفسهم وشعورهم بأنهم قد أدوا للناس خدمة أدبية تفيد لغتهم الشريفة وتعمل على إعلاء نهضتهم المباركة . « فعلى هامش السيرة »

للأستاذ الكبير الدكتور طه حسين و (عمد) للأديب الكبير توفيق الحكيم و « باب القمر » للأديب الكبير إبراهيم رمزي ثلاثة أعلام يجدر بالعصر الحديث أن يفاخر بها

ولقد حاولت في قراءتي لهذه القصة التاريخية أن أجد مأخذاً أدخله إلى مقالي حتى لا يكون كله صورة من الأعجاب الذي ملك على نفسي فلم أظفر من ذلك إلا برأي أظنه جديراً بأن يعرض ، وهو أن الاستطراد الكثير في سياق القصة كان كثيراً ما يضيع شيئاً من تماسكها

وأمر آخر لحته في بعض المواضع وهو أن بعض القول كان على غير ما عليه الطبع . ومن ذلك أن سيدة كانت في موقف حزن عميق إذ فقدت زوجها وولدها « فخنقتها العبرات وتحدرت الدموع على خديها متداركة كقطرات السقاء المخاخل ، ولم يستطع ورقة (الذي كان في موقف الصديق) أن يحبس دمعه لدن هذا المنظر المؤلم فبكى لبكائها ثم تمالك نفسه يقول : هوني عليك يا سيدتي . لا تضعفي نفسك بهذا الوجد ، أنت شابة وسرية كما أرى ، وستشرق عليك شمس حياة طيبة جديدة يوم تعودين إلى الأسكندرية ، وسيكون لك أولاد وزوج محبينه . إن الله واسع الرحمة . ما أرجو منك إلا أن تنسي أمور الدنيا أمامك كما تضعين الكتاب ، وتقرئي فستجدين في هذا الكتاب مخطوطاً بقلم عريض كبير : لا تنظري إلى الوراء : أنظري إلى الأمام . إذا ورد عليك فكر مؤلم فرديه بيدك وسيري الى الامام لتباغي ما تعده الدنيا لشبابك وجمالك من النعمة والمتعة التي تنسين بها كل ما مضى الخ » . وإني لأظن أن هذا القول ما كان يلائم أن يقال في مثل هذا الموقف ولا سيما من قائله (ورقة) . على أنني أرى مع ذلك أن مثل هذا النقد ناشئ من اختلاف في النظر والتفكير ، وما ينبغي أن يتفق الناس في مثل هذه الأمور كل الاتفاق

وأما لغة الكتاب فانها اللغة الجديرة بكاتب مجيد كابراهيم رمزي جمع إلى لباقة الفنان متانة الأديب

فرحباً بذلك الفتح الجديد في الأدب العربي . وما أحرانا أن نهنئ الأديب الكبير بنجاحه الباهر في قصته ، وأن نستنجزه الوعد الذي وعد به في آخرها أن يتحفنا بباب الشمس بعد أن أمتعنا بباب القمر .

جاءنا من صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام نقد لكتاب (معجم الأدباء) في طبعته الجديدة ، ومن الأستاذ الشيخ أحمد يوسف نجاتي الأستاذ بدار العلوم رد على نقد كتابه (نفح الطيب) فأرجأناهما مضطرين إلى العدد القادم